ربحت الا عنا السفر رجعت خسرى وما وقعت لا على عين ولا اثر فلحا الله الاولى زعموا انك المعروف بالنظر
كذبوا ان الذي زعموا خارج عن قدرة البشر تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته ثم رتب على ذلك قوله تعالى فمن يرد
الله ان يهديه يشرح صدره الآية فيه انه لما كانت معلوماته تعالى بالمعدوم عنده بمنزلة ما تحقق له الوجود اجرى
فيهما الا ما اجرى في الموجودات وذلك انه يثيب من وجدت منه الطاعة ولو شاء لعذبه لما له عليه من النعم مع عدم خلو
العبد عن مخالفة وفي الحديث لو عذبني الله وعيسى بن مريم لعذبنا وهو غير ظالم ولهذا امتن عليهم سبحانه بالاثابة
ويعذب سبحانه العاصين احتراما لجانب الحق وفرقا بين المحسن والمسئ ولولا ذلك لما ضاقت رحمته التي وسعت
كل شئ وما خفي علينا من الحكم اكثر فنزل عالم العلم منزلة عالم الوجود والتحقيق والتيسير لليسرى منزلة الثواب والعقاب العدم
فلو هديهم اجمعين بتيسير اليسرى لما كان هذا التمييز ولما ظهر شأن اسمائه المقدسة مثل الجبار والعزيز ونحوهما
ولما عرف مقدار الطاعة والثواب وبضدها تتميز الاشياء ولذا لو لم تذنبوا لجاء بمن يذنب فيغفر لهم كما في الحديث النبوي
ولو اضلهم اجمعين بتيسير العسرى لم يكن ظالما ولكانت له الحجة بنفس التمكين بمجرده كما كانت له بذلك الحجة على من اضله
لكن يذهب شأن صفاته الحسنى من الفضل والرحمة والبر والود وغير ذلك ويفوت التمييز ايضا واذا عرفت ما ذكرنا
ظهر لك معنى قوله صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل ميسر لما خلق له قوله تعالى ان يتبعون الا الظن وان هم
الا يخرصون قد حملوا الظن المذموم على ما اذا استعمل في المطالب التي يجب فيها اليقين وبعضهم على ان المراد به الشك ه الشك
وادعى ان الظن اعم منه والصواب والله اعلم ان الظن مذموم على العموم ولا يخرج منه الا ما دل عليه دليل خاص
من عقل او سمع مثالها العمل بالظن الحاصل لخبر الثقة لتحسينه عقلا في مواضع وقد يلزم مخالفته ايضا كمن اخبره
الثقة بحصول مهلك يمكن النجاة منه كاسد وسيل ونحو ذلك وكذلك في الشرعية دلت الادلة الجمة على قبول
خبر الثقة وكذلك القياس وغير ذلك واما ما لم يكن له دليل خاص وذلك ان يكون سكون النفس الى شئ واعتقاد
كونه ناشئا عن تقليد وتسليم مقدمات بلا دليل بل بمجرد العادة في الجم الغفير ومن اوضحه ما قالت الجن وانا ظننا
ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا فاستندوا الى استبعاد ان يقول جمهور من الجن والانس على الله سبحانه
ومن ذلك هذه المذاهب والعادات مع كل امة من الخلق تستبعد الامة ان ناسا كثيرا يحسن الظن بهم يكونون على
خطأ من دون انتباه مع ان مثلهم في كثرتهم وسائر صفاتهم بل اكثر منهم على نقيض اعتقادهم فيقول لك
القائل من طائفة الشافعية مثلا انه محال ان يجتمع مثل هؤلاء السادات القادة الذين لهم الشأن الفلاني وكذا وكذا
يعد ذلك من خيرهم وما يقوي ما يعتقدوه فمحال ان يخطأوا في هذه المسئلة ظنية كانت او قطعية ولم ينتبه
انه لا فرق بينه وبين المالكية الا تسليمه لمحال هؤلاء لاتفاق ذلك له ولو اتفق له قبل ان يشرب قلبه حب هؤلاء
ان يعرف اولئك لكانوا عنده بتلك المثابة وكذلك سائر الفرق يقول لك قائلهم ذلك بلسان مقاله او بلسان حاله
وكذلك الفرق الخارجة عن الاسلام وكذلك سائر الصناعات وسائر المطالب المطلوبة ومن غريب ما اتفق للناس
في ذلك انه جاء الركب المغربي من الحج سنة ثلاث وتسعين والف وزعموا انهم رأوا الهلال ولم يخبر احد بذلك
من سائر الحجاج من اي جهة ولكان لهم على ذلك امارة تثير ظنا غير خبر المغاربة فخف لهم الناس جميعا وكنت ه جهة
انا ممن اصابه ذلك مع شدة احترسي وتخطيئي للقاضي حين جاءه مخبرين يخبرونه وامر الناس الشريف
وهو بركات المتولي في مكة بالوقوف فاخذت اسئل كل مغربي وهو يتعجب من شكي في ذلك فاقول رأيت الهلال
انت بعينك فيقول لا فاقول رآه من اخبرك فيقول لا لكن رآه الركب ولم يجبني على احد بخلاف ذلك وكذلك كان

شأن

شأن الشهود عند القاضي ثم انكشف ووضح بطلان خبرهم ولا وجه لذلك الا المسارعة الى التسليم بلا دليل معين
وذكر في بعض التواريخ ان تقديم الوقوف لم يتفق للناس الا في ايام معاوية لعنه الله فيما اظن لانه كان المغيرة اميرا
على بعض الحجاج وانه اتهم المغيرة بان له غرضا في المسارعة فلم يوافقه سائر الناس وافاض بالحجة وحده حين
كان الناس ناسا ونحن والله لم يتوقف منا احد اللهم الا ان يصح ما قيل لي ان افرادا عادوا من مزدلفة ثم وقفوا
اليوم الثاني وهؤلاء المغاربة ما يطرئون بذلك حتى يتوصلون بذلك الى كون الوقوف الجمعة يحدث بذلك اهل مكة ه الاحق
على الاطلاق وكنت لا اصدقهم حتى اتفق ذلك وكانت سنة الجمعة بزعمهم ومع ذلك جازت على جميع الناس كل واحد
يقول انا من جملة هذا العام ولعمري لو عرضتهم كلهم لكان ذلك حجتهم فيكون دورا وقس على ذلك ما عليه الناس
في غير ذلك وسببه تسليم المقدمات بلا دليل وسكون النفس الى موافقة ما عليه الناس ولذا جعلت الباطنية المتزندقة
مثل ابن عربي وغيره عمدة حيلتهم وشبكتهم اول امرهم لا يدرك الا بالتسليم للشيخ بدون اعتراض في ظاهر المطالب وباطنه
والا لم يصل الى ما هم عليه وصدقوا وهم الكاذبون وانه لا يتزندق الا من سلم لهم الدعوى بلا دليل واما الناظر الذي يقول
لستم خيرا من الانبياء فاين برهانكم على ما تدعون فذلك هو عدوهم وعدو استاذهم ابليس اباد الله خضراءهم
واراح المؤمنين من فتنتهم وفي الحديث لا يكون احدكم امعة يقول ان احسن الناس احسنت وان اساؤا اسأت ولكن شبهتهم
وطنوا انفسكم على الاحسان او كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا احققت النظر فيما اشرنا اليه ونبهنا عليه
ثم نظرت في احوال الناس وجدتهم انما يتبعون الظن بلا دليل فلذلك كان مذموما على العموم كسائر العمومات كقولنا العسل
حلو ولو اكلت نخله شجرة مرة لم ينقض ذلك الاطلاق ونحو ذلك قوله تعالى سيقول الذين اشركوا لو شاء الله
ما اشركنا لفظ الكشاف في سورة الانعام يعنون بكفرهم وتمردهم ان شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم ما احل الله بمشيئة
الله وارادته ولولا مشيئة الله لم يكن شئ من ذلك كمذهب المجبرة بعينه انتهى لفظ البيضاوي لو شاء خلاف ذلك مشيئة
ارتضى كقوله فلو شاء لهديكم اجمعين لما فعلنا نحن ولا آباؤنا ارادوا بذلك انهم على الحق المشروع المرضي عند الله
انتهى ولفظ جامع البيان للصفوي فان لم يشأ لم يكن وما شاء فهو مرضي مأمور به فارادوا بذلك ان ما هم عليه مرضي
عند الله مأمور به انتهى فقد اتفق الثلاثة ان مراد المشركين ان ما هم عليه من الشرك كائن بمشيئة الله الا ان البيضاوي
والصفوي قيداها بمشيئة الارتضاء لواذا عن الزام الزمخشري لهم مساواة المشركين فقال مدلولها بحسب اللغة انتفاء ه فيقال
مشيئة الله بعدم اشراكهم وانتفاء عدم اشراكهم ولا يتعرض المدلول اللغوي لسوى ذلك فمن اين لنا ان مرادهم ان شركهم
يثبت بمشيئة الله وايضا يصير صورته ان استثنى عين المقدم وهو ينتج نقيض التالي اي لكن ثبتت مشيئة الله
ثبت اشراكنا وهو غير صحيح انما المنتج لكن ثبتت المشيئة فانتفى الاشراك او لكن انتفى عدم الاشراك فانتفت
المشيئة وقد عرضنا هذا السؤال على من ظننا انه من اهل العلم وكلا منهم اطال ولم يكد يفهم السؤال وانما ذكرنا بما ه انهم
حكى عن بعض الاعراب انه وقف على رجل يملي فظن انه اعجب الاعرابي بفصاحته فقال له ما تعد الفصاحة يا اعرابي
فحدها فقال فما احد الحي فقال ما انت فيه منذ البارحة وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا في الكشاف اردنا
اهلاكها يعني لتكون الفاء على طفها ونكره عبره والظاهر ان الاولى والانسب جعلها تفصيلية كقولك عاقبت زيدا
ضربته واهنته وانتم من العصاة فاهديهم او اهلكهم واما الاخبار عن الارادة فيأباه جدا كما لا يخفى وكذلك قوله ه منهم
تعالى في هذه السورة فانتقمنا منهم فاغرقناهم الغرق تفسير الانتقام وتفصيله نحو وكلا اخذنا بذنبه فمنهم
من ارسلنا عليه حاصبا الآية الى آيات اخر قوله تعالى الا ان تكونا ملكين قدر في الكشاف كراهة ان تكونا سورة الاعراف

Copyright © King Saud University